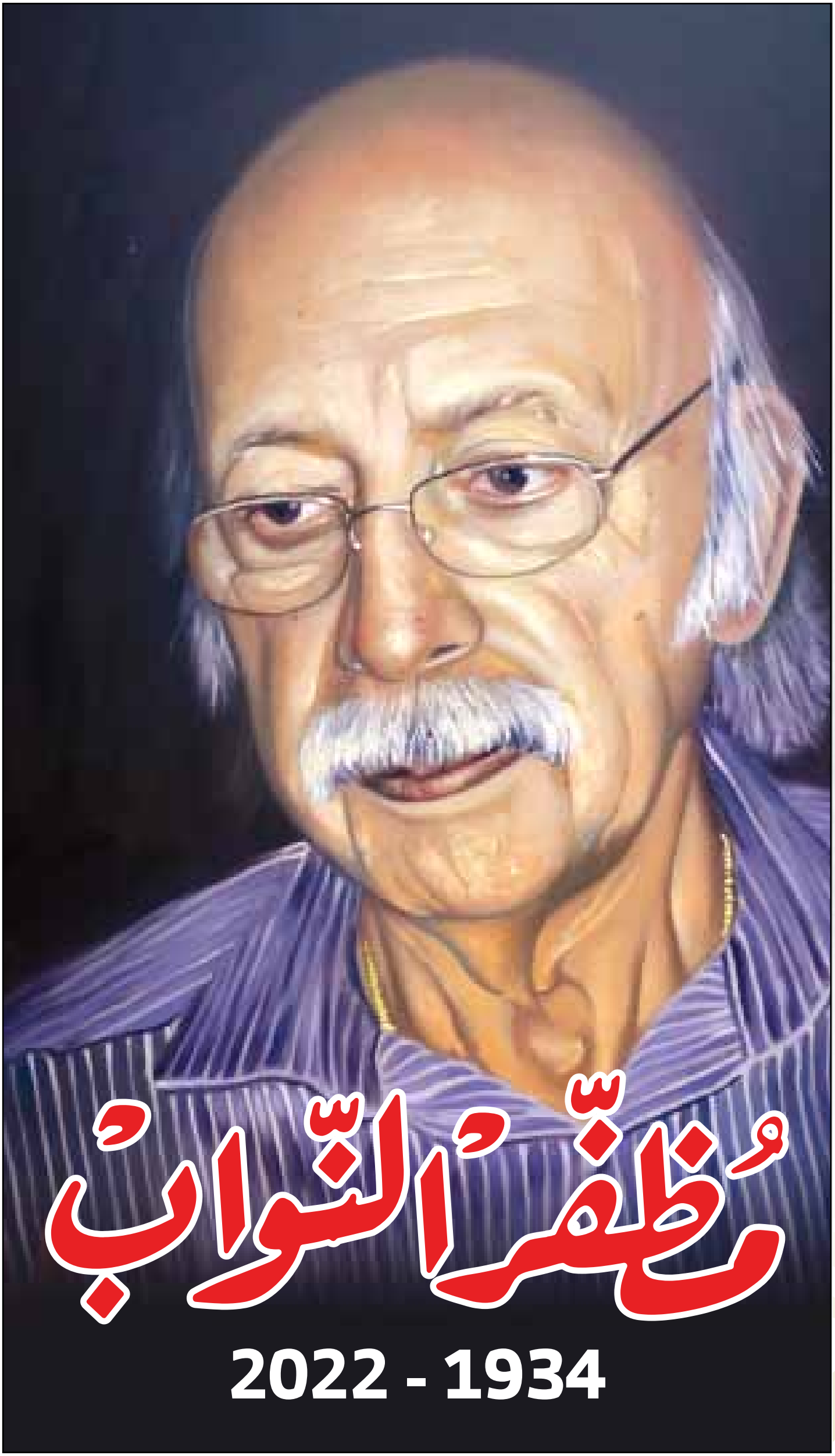

ظفر النواب

2022 - 1934

مرايا

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

المدى

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5196) السنة التاسعة عشرة
- الخميس (2) حزيران 2022

مظفّر النّواب وريث المتنبي وأبي العلاء

د. حسين الهنداوي

منذ عقود ستة من الزمن، ومظفر النواب يسحرنا بترنيماته الوجدانية سواء وردت بلهفة عاشقات وعشاق ريفيين او عذريين ولهى، او على لسان أم او أخت او فلاحة جنوبية مناضلة، او اقترنت ببصمات تحدٍّ ثوري ومعاناة سياسية قاسية تغطي مرحلة استثنائية من تاريخ شخصي، هو في ذات الوقت تاريخ وطن عراقي وآخر عربي مختلفين ومستقلين من جهة، ومتداخلين الى حد التماهي من جهة اخرى دون المساس بأصالة كل منهما وطاقاته الخاصة.

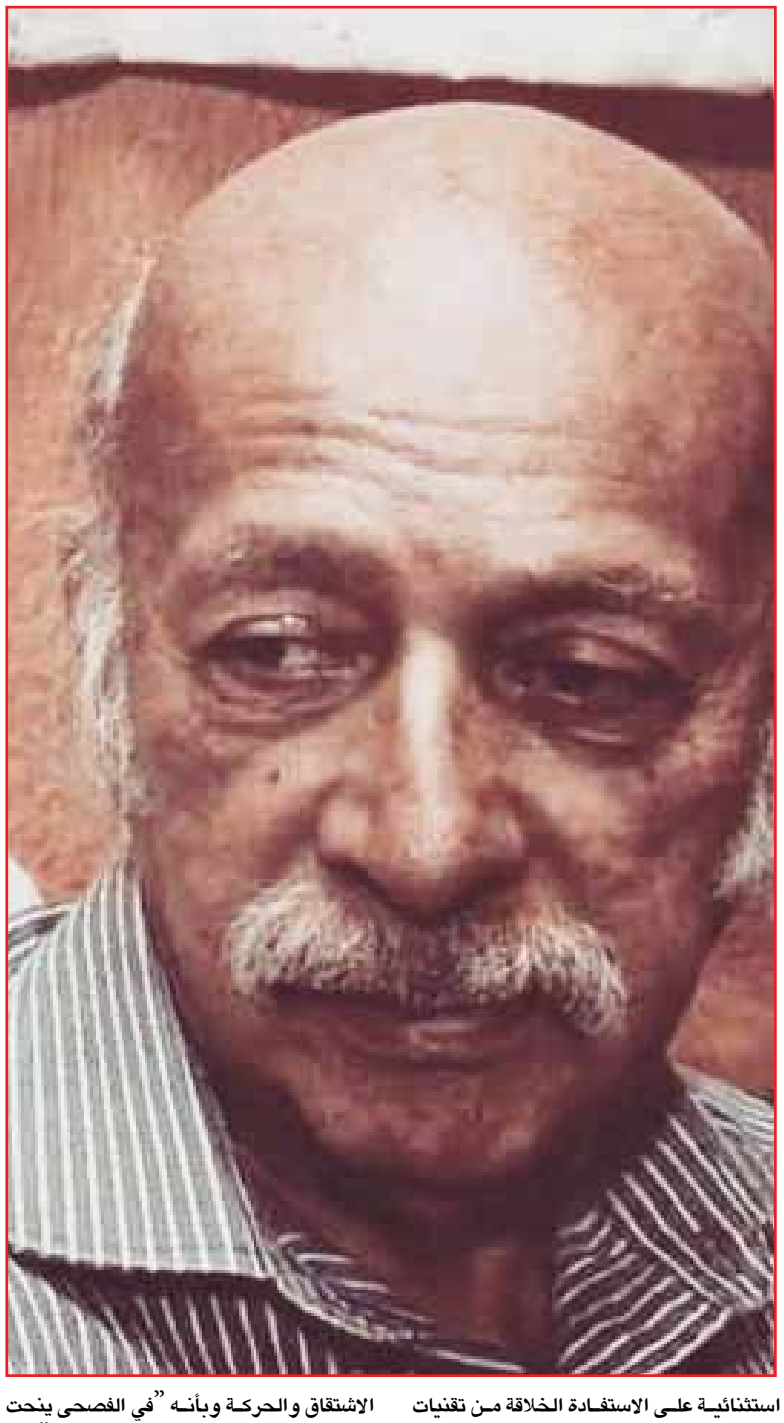

فهذا الشاعر المتشبع بشعر المتنبي والمعري ليس شاعر حداء بتاتاً او شاعر مديح، لكنه، ومثلهما تماماً، لا يحب ان يكتب الا الى جمهور وحول قضية عظيمة: الحب، الشعب، الثورة، الفقراء، فلسطين وغيرها من رموز المكابرة والشموخ:

"كنت يافعاً عندما وصلت الى ديوان المتنبي في مكتبتنا الكبيرة، ومن قصائده كنت أكتفي بالأبيات الصاخبة الثائرة ولم أكن أقرأ شعره في المديح على ما فيه من جمال وصنعة.. بعض هجاء المتنبي سياسي ودقيق، تشخيص حاد معين عن حالة معينة فيها قبحها وفيها جماليتها، وحين يتحدث عن حالته فهو اعتزازه بنفسه، فيه نوع من الجمالية لوصفه لنفسه كبريائه وشموخه، وبالمقابل لا أحب مديح صورة الحاكم سواء كان سيف الدولة أو كافور الإخشيدي".

ذلك الكبرياء والتحدي سيجده مظفر النواب على حالته الخام الأصفى والاصدق في جذور روح عراقية حيّة وجنوبية كليّاً، لم تتوقف عن الاشتعال على مدى الازمنة بدءاً بثورات «الأيكيكي» أو عمال السماء في أساطير سومر وبابل ضد الاستعباد والطغيان، ومرورا بثورة الزنج وثورة العشرين وانتفاضات الظوالم وآل فتلة وآل ازيرج وجسر الشهداء والحي وملاحم سلام عادل وجمال الحيدري وحسن السريع ورفاقهم البطولية الخالدة في مقاومة الفاشية البعثية، وانتهاء بالكفاح المسلح في الغموكة وانتفاضة الأهوار الأسطورية ورمزها الرمز خالد احمد زكي وحجام وسعود وصويحب قبلهما.. مع سطوة عشق لهّاب يوغل في الصوفية او في الحسية حسب الحال..

وهذا ما توحي به بقوة كل قصائده بلا استثناء. شعره الشعبي المكتوب بجمالية عالية يشي بقدرة استثنائية على الاستفادة الخلاقة من تقنيات وابتكارات الشعر العربي الحديث، بموازاة توظيف جاذبية الاسلوب والمعاني المبتكرة وحميمية الانغام في الشعر الشعبي العراقي الموروث، ولدى الحاج زاير بشكل خاص. هذا التلاقي الثنائي، سمح له بادخال تحديث غير مسبوق على شعر العامية العراقي، مطلقا للغته الشعرية وجمالياتها بما فيها الموسيقية، قدرة استثنائية التألق في التعبير عن المعاناة الذاتية عبر المعاناة الجماعية بمعنى ما.

لكن القصيدة الشعبية النوابية تظل في الجوهر مرتبطة جدا بروحية فترة زمنية تكوينية ثقافياً وسياسياً، فقدها العراق وكأنما الى الابد، وهذا يوحي به ايضا كل شعر مظفر النواب المكتوب بعد مغادرته العراق في 1969 اي المكتوب بالفصحى حصرا، كما لو ان مصدر الالهام او الألم غادر، هو الآخر، من محيط وجداني جنوبي عراقي الى محيط وجداني عربي، ومن دفء القضية الوطنية العراقية الى حرارة القضية الوطنية العربية والفلسطينية خاصة، برغم أن العامية مطواعة وتسمح بحرية أوسع في الاشتقاق والحركة وبأنه "في الفصحى ينحت في الصخر، وفي العامية يشتغل على الطين" كما أكد بنفسه.

ومظفر فنان نغمي أيضا ذو صوت فاتن الدقة والطبقات والحضور ومعرفة موسيقية واسعة، كما هو فنان تشكيلي موهوب أقام عدة معارض للوحاته. فلقد عُرف باهتماماته التشكيلية منذ ايام دراسته في كلية الاداب ببغداد، ولعل ابرز ما يؤكد ذلك سعيه المتواصل في تلك الفترة مع عدد من زملائه لإنشاء مرسم في الكلية، حتى تم لهم ذلك بعد جهود مضنية، وفي ذلك المرسم تعرف مظفر النواب على الرسام العراقي الشهير حافظ الدروبي، الذي اشاد بقدرته على استخدام الالوان. كما كان مظفر النواب من الطلبة الناشطين في جمعية الانطباعيين التي أسسها الرسام حافظ الدروبي في الكلية تلك. وظل النواب على الدوام يرى في الدروبي استاذه الحقيقي في الرسم وصاحب الفضل في تطوير قدرته على استخدام الالوان في شعره.

ولئن انقطع عن الرسم مثلا او تركه يتهمش طواعية بعد أولوية في الهم والاهتمام نالها مبكراً بصحبة الدروبي الكبير، فذلك لأنه شاء، أو شاءت الاقدار، أن يستحوذ الشعر على كل شيء تقريبا لديه ويصبح منمنمته المفضلة التي يتدوزن فيها بكامل طاقته الجمالية والابداعية. وهو امر نابع ربما من مهنة الحل والترحال التي احترفها او كاد.

ومع ذلك "لا زلت ارسم من وقت لآخر حسب الظروف. فقدت لوحاتي في ظروف سخيفة فصرت مقلاً بالرسم كردة فعل على ذلك. ولكن على رغم ذلك لم اتوقف عن الرسم، الذي أثر في شعري بالتأكيد وعلى نحو عفوي لا افتعله وقد تستطيع ملاحظته في تشكيل القصيدة وفي ألوانها".

ومظفر فنان مسافر، وعلى قلق أيضاً، كما عرفته. والحال، وحده الشعر هو الفن الذي يتماهى مع الترحال والقلق في آن واحد بين الفنون. بل هو الفن الوحيد الذي تحمله دون ضيم صرة الترحال وبلا تأشيرات وبلا جواز سفر. وهذا ما تبوح به رسوم هذا الشاعر الكبير ذاتها التي، وهذه مفارقة وحدها، اختارت لنفسها حجم القصيدة احيانا لتغريه هو المسافر، المسافر الازلي ربما، بان يحملها معه كبعض منه. ثم ما الذي أهمّ، في المحصل الاخير، أكثر من السماح للرغبة الجمالية في ان تتمظهر وتحقق ذاتها ما دامت تلك الرغبة ذاتها، بنظري، حاسة سابعة او ثامنة لا قيمة للحواس الاخرى بدونها اصلاً.

لا شك ان مظفر النواب كفنان لا يريد ان يحصر متعته في الكلام وحده، لذا فهو يتدفق الى الخطوط والالوان ايضا وكذلك الى الموسيقى لمن يعرف ذلك، وكل وسيلة اخرى تسمح له بنشر حبه للجمال والناس والعراق. لكن الترحال وانتظار الترحال جعل من الكلمة صاحبه الذي لا يخلع. فمظفر في المقام الاول شاعر كبير اما العلاقة مع اللوحة او الموسيقى، فقد تحولت لا ارادياً الى علاقة غربة لا تباح، او علاقة تشوق لحبيب ظل بعيدا عن العين لنحو نصف قرن، هو العراق. لكن الحبيب الحبيب يظل حاضراً في كل شيء مهما تفنن في النأي والصد والغياب. من هنا هذا السر في انبثاق اللون او اللحن او النغم مثلا في قصيدة مظفر النواب كما لو انه، او انها، القصيدة ذاتها. بل ان الكثير من رسوم مظفر الفنية ولدت كما لو انها جنين لقصيدة او مقطع شعر في معركة بقاء لم تحسم بعد، منذ ان عرفت تلك الاعمال الفنية ان تتحول الى رسوم بالكلمات.

هل من الضروري القول ان الكثير من قصائد مظفر واكاد اقول كلها تحمل همّ الوفاء لطاقة الرسم والموسيقى لديه فتبدو هي نفسها وكأنها رسوم والحان كما لو ان طاقة الخلق لديه تعرف كيف تعبر عن رغبتها بالشكل الذي تحب هي ايضا؟

بداهة لا يعرف غيره جواباً شافياً على هذا السؤال واسئلة كثيرة اخرى حول الطاقات الفنية للشاعر الكبير مظفر النواب. بيد انني ازعم معرفة الكثير عن معرفته الواسعة بالموسيقى الكلاسيكية العالمية والتراث الغنائي العربي والعراقي كما عن طاقته النغمية واطواره الغنائية المفضلة التي صرنا نقلدها احياناً. وكم هي ممتعة الامسيات التي حملتنا على بساط صوته الصافي الى عوالم ألق أخرى وأحياناً برفقة الفنان سعدي الحديثي أو الشاعر الراحل بلند الحيدري أو التشكيلية الراحلة دلال المفتي زوجة بلند او سواهم من الادباء والفنانين والاصدقاء. أما منابعها لديه فمعقدة وقدرية هي أيضاً.

مظفر.. مات!

فخري كريم

بموتـه يوقـظ في وجداننا جـذوة ماضٍ كاد أن ينطفئ بفعل قسوة الحاضر وتجرده منْ كل قيمة تُعلي من شـأن الإنسان، بل تتفـنن في الحط من بارقـة أمل في عبور دنس الرثاثة وسقوط المعنى وانزياح الظلامية المستبدة!

لكنـه يبقـي منزها عـن كل عيبٍ انتبـذه في سيرته وإبداعه وحسه بالعدالة..

لم يفقـد، رغم قسـوة ترحاله في أزمـان ومقامات كانت موضع حفاوة به، ظل متشبثاً بحنين مولده إلى الوطـن. لكنـه لم يكـن أي وطـن. بـل فضـاءً يتسع بالأمـل في المرتجى بعالم الفضائل وأحلام السعـادة، دون أن يثنيه عن ذلك القهر والاستبداد والعهـر السياسـي وأشبـاه الرجـال وفضـلات الجهالـة والغبـاء ومتعهـدي الاستباحـات التـي يأنف عنها العيب نفسه.

مات مظفر..

لكنـه مـوت الانبعـاث للتبشـير باستحالـة دوام الضيم، واستمـرار أسر الوطن، واسترقاق إرادة العراقيـين، وهيمنـة لصوص المقابـر الملثمـين بجبنهـم وإحساسهـم بالهزيمة التـي لا مفر منها، مهما تطاولوا، وبأية وسيلة تشبثوا، وبأي سلاح تفرعنوا..

منذ عقديـن، بقي مظفر زائراً مقيمـاً في المشافي، يتوسـد آلامـه بصمـت. وبـين رحلـة استشفـاء وترجـل، بقـي مقيمـاً علـى إرادة رفـض "هبات رخيصـة" لأشباه رجالات دولـة، كما لو أنه ليس مظفـراً. وفي كل مـرة كان يرفض بمـا يشبه طرد حامل "البريد».

كان يقـول: يـا للوقاحـة، وهو يرد مظـروف أحد لصوص المـال العـام، يريـد أن أزكـي وساخـة ضميره...!

ويكـرر القـول مـع كل موفـد يحمـل عـار رئيس وزراء، أو وزير ملوث...

ظـل مظفـر، رغـم سماحتـه، يأنـف عـن استقبال وزيـر أو موفدٍ وزاري، خشيـة من شبهة تنال من براءتهِ..

عاش مظفر متجنبـاً، على قـدر حساسية اللحظة التـي يواجـه فيها مصـيره، كل ما يمكـن أن يثلم مـا أراد أن يشكل هويتـه الإنسانية، دون أن ينكر أو يتنكـر لضعفه الإنساني وهـو يواجه صروف الحيـاة وتقلباتها ومساراتها التـي قل مثيلها من العسف والاستلاب..

مـات مظفر دون أن يخلّف ولـداً أو متاعاً أو عهدة تكـون موضع نـزاع أو تربـص. فقـد وزع كل ما كان يملـك مـن مـالٍ قبـل عقديـن من رحيلـه على مـن اصطفاهـم مـنْ أهلـه المقربـين، دون أن يفكر بأنـه أولى بما يملك وهو يعانـد المرض والمصير المجهول..

لكنـه ترك أخاً وصديقاً ورفيقاً قلما يوجد له مثيل بالوفـاء، والإيثـار، والرعايـة، والحـب. تـرك له حازم الذي لم يفارقه لحظة واحدة ملازماً سريره دون انقطاع طوال ثلاثة عقود. حازم الذي كان له أماً وأباً وأخاً وأختاً..

لم أعـرف في حياتـي "فضيلـة" مداحـي الملـوك والأمـراء وذوي الجاه!.. لكنـي سأفعل هذا الآن، منزهـاً مـن كل مصلحة، دون أن ألتقـي أو أحادث مـن أوجه لـه التحيـة والتقدير، وخالص العزاء أيضاً، لأنه ظل يحتضن مظفر طوال مرضه مكرماً معـززاً بصمـت.. أحيي دون تـردد وأياً كان وراء كرمه واحتضانه الشيخ سلطان القاسمي.

مـات مظفـر وفي خاطره بعـد أن فقـد التعبير: يا سعود احنه عيب انهاب يا بيرغ الشرجية..

سلاماً مظفر.. وإلى الملتقى..!

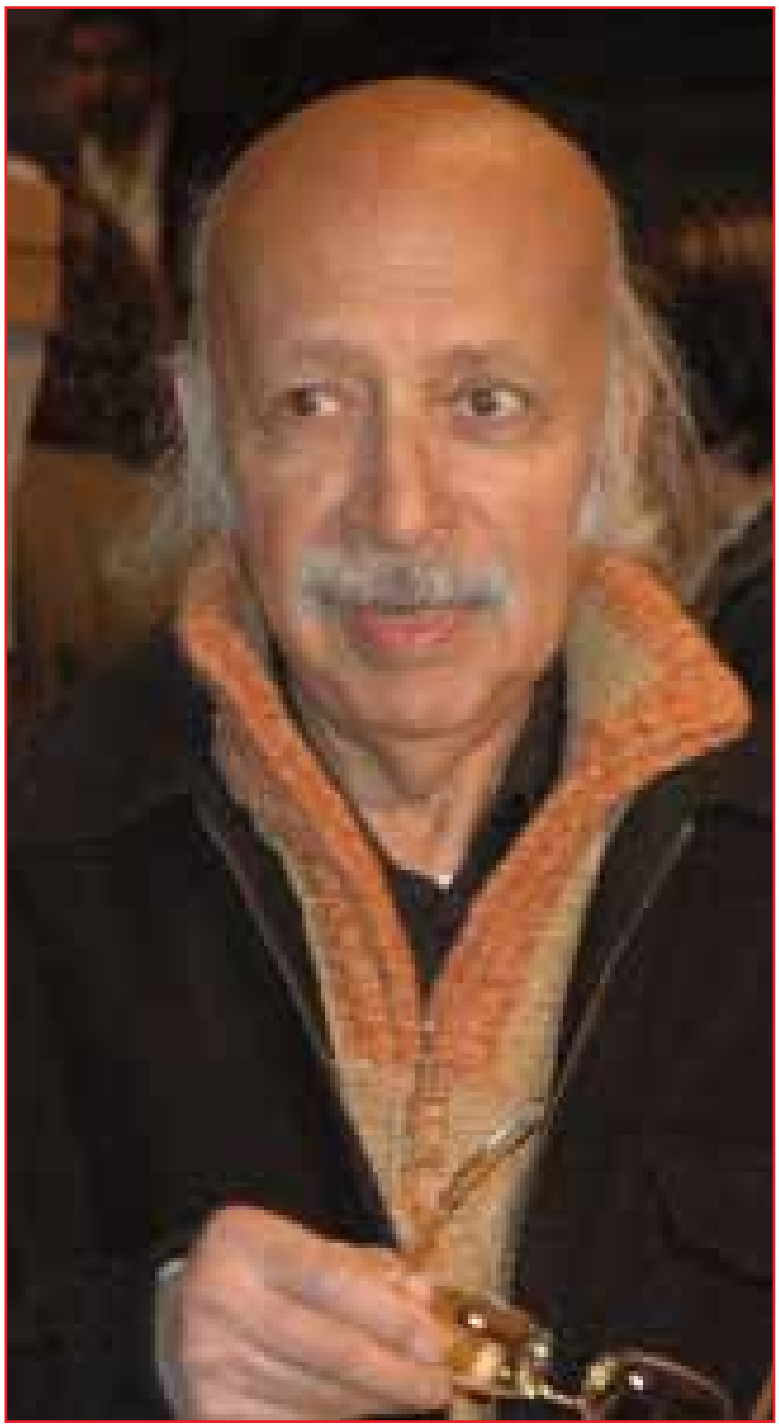

مظفر النواب: صوت الكريستال المتساقط

هاشم شفيق

قبـل عشرة أيـام عنّتْ في رأسي قصيـدة « أبيتنه ونلعب بـي» للشاعر الكبير مظفر النواب، فذهبت باحثـاً عنهـا كأغنيـة، فلـم أعـثر علـى النسخـة الأصليـة المغنّـاة، لكنني وجدتهـا بكلمات أخرى، تؤدّى من قبل مغنٍّ من هذه الأيام، تلاعب بكلمات مظفـر النـواب، وأبقى علـى اللحن المميـز، وهو للحن عراقي.

حرت في أمري، فوسّعت مـن دائرة البحث، حتى عـثرت علـى الكنز، لكنـه بصيغة أهـم وأكبر، أنه مظفر يغنـي الأغنية، القصيدة، بصوته المبحوح، والمجـروح والمتكسّـر مثـل شظايـا الكريستـال المتساقط مع نثير لشلال.

كان مظفـر قد أدّى هذه الأغنية في تسجيل خاص عام 1970، بصـوت متفرّد، ثمة حزن عميق تخلل مسـار الأغنيـة، واعتراها جرح شاعـري مرهف، في الحال مسّتني كلماتها كما الـبرق، وجعلتني أجهـش بالبـكاء: « أبيتنـه ونلعب بـي شله غرض بينـه الناس، لا بينه الغمازة ولا بينه اللمازة، ولا بينـه لتحب المكتـب مَيْلن غاد عن دربنـا». وهناك مقطـع آخر يقول فيه بحرقة ورنّـة مثالية لا مثيل لها « صيحولي شـيْردون أهل المجَرْ». هنا الأغنية التي أداها مظفر علـى طريقة رقص أهل الجنوب العراقـي، دوّتْ في داخلـي وخضّتـه، وصعقنـي صـوت مظفـر، إذ كل ذلـك تم أداؤه مـع الهـزة الجسديـة، ذات الدلالـة المعنويـة، وبحرقة بائنة ودامعـة، وذات تأثـير فعـال لمن يسمعهـا بصوت مظفـر النواب. طبعـاً كلمات الأغنيـة سيكون من الصعـب فهمها كلهـا، بالنسبة للمستمـع العربي، فمظفـر بكلماتـه المحكيـة يراكـم كميـة هائلة من الـدلالات، والمعـاني والصـور الجميلـة الآسرة، لكن برؤيتـه الفنية والشعرية هـو، وعلى طريقة كلام أهل الأهوار. فصاحب ديوان « للريل وحمد» ديوانـه الفـذ الذي يعتـبر فتحاً في شعـر المحكية العراقيـة، قـد أثّـر في جيل طويـل ومتعـدّد، من شعراء المحكية العراقية، أو «الشعر الشعبي» كما يسمّى في العراق، وامتد تأثيره حتى على شعراء الفصحى العراقيين والعرب.

الشاعـر مظفـر النـواب الذي غاب عنـا نجمه هذا اليـوم، كان الشاعـر العربـي الوحيد الـذي تغلق الطرقـات وتسـدّ حـين يقـرأ الشعر في مـكان ما، وتشهـد علـى ذلـك أمسياته الجماهيريـة، في كل مـن بـيروت ودمشـق، وعواصـم العـالم العربي والأوروبـي التـي، استقبلـت صوتـه المـترنّم، والمُديـن للخضـوع والابتـزاز والمسالأة بـكل أشكالهـا، وحيثما كانت، لمن يدقّـون اليوم طبول التطبيـع. لقـد صرخ مظفـر بكلمة «لا» ملء فمه، وبمهابة فائقة وفريدة قل نظيرها.

لقد خسر الشعر العراقي والعربي، بغياب الشاعر مظفر النـواب اليوم، صوتاً شعرياً خاصاً وملهماً ولاذعـاً، لم يألفـه الشعـر العربـي مـن قبـل. فهو شاعـر ورسـام ومغـن، وقـد تعرّضـ للاضطهاد مـن قبـل السلطـات السابقـة، فحوكـم وسُجـن في « نقـرة السلمـان «، مـع كوكبة لامعـة ونادرة مـن المثقفـين العراقيـين، إبّـان فـترة الستينيات السياسيـة العراقية اللاهبة، مـن القرن المنصرم. وقد تعرّضـ كذلك للتعذيب والتهكّم والابتزاز، ثم للهروب والغياب عن بلاده لفترات طويلة، قضّاها متشـرداً، ما بـين بيروت وليبيـا ودمشق وأخيراً الخليج العربي.

كانـت قصائـد الراحـل الكبـير مظفـر النـواب غـذاء للمناضلـين والوطنيـين وسجنـاء الـرأي السياسيـين، وقوتـاً لأجيـال مـن العراقيـين والمنفيـين والمهاجريـن العـرب، قصائـد يحفظها القلـب قبل العـين، وتردّدهـا الدمـوع والأغنيات والهلاهـل، كونهـا قصائـد مغنّاة، عذبـة ونادرة، وتحمل قيمة فنية عاليـة. ومن هنا تلقفها الناس، وأدتهـا أصـوات كثـيرة، أبرزها صـوت المطرب الياسـ خضر الذي غنّـى تحفته «مرينه بيكم حمد واحنه بغطـار الليل واسمعنه دك كهـوه وشمينا ريحـة هيل، يا ريـل صيـحْ بقهْ صيحـة عشكْ يا ريلْ ».

الأم عند النواب.. رقيب أخلاقي

وائل المرعب

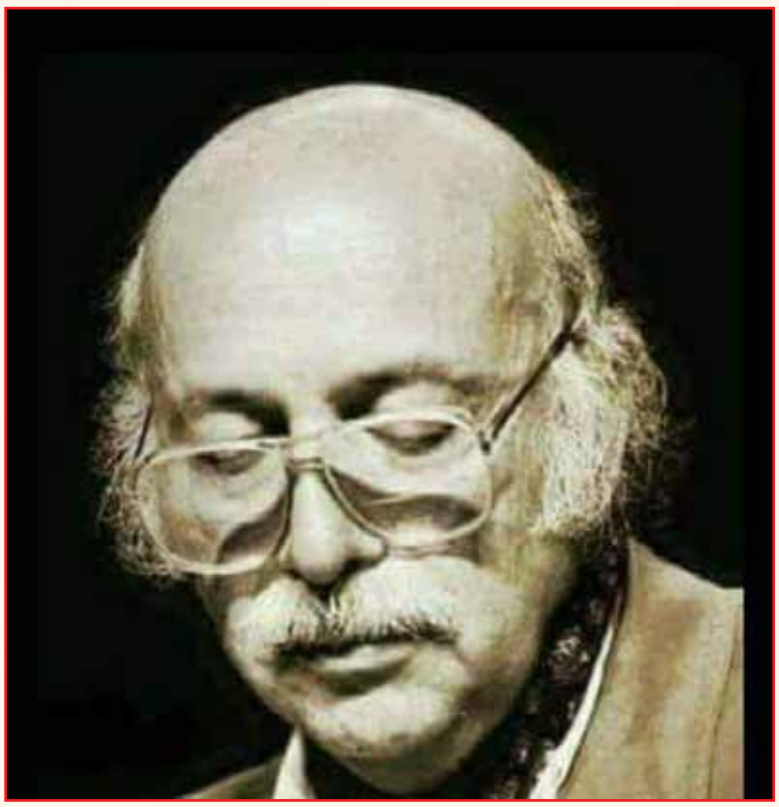

يا حجام لا تمشيش الراكك الراكِ
يابن الحره مايستوحش التفاكِ

هكذا ينبري النواب (وهو العليم بميزات الفارس) إلى شحن طاقة الشجاعة في مقاتل من مقاتلي الكفاح المسلح في الاهوار أواسط الستينات عندما كان هو واحد من هؤلاء الصفوة الشجاعة ويصر على أن رفعة البندقية ضمانة أكيده توفر له قدر كبير من الأمان، وتطرد الوحشة في الدروب الموحلة والناقعة بالخوف والترقب المضّ.. لذا عليه أن لا يحني قامته ويسير محاذياً حزم أعواد البردي ويمشي بحذر الخائف.. أن حالة الخوف لدى المناضل المحارب (مظفر النواب (تنتهي تماماً عندما يتوشح صدره صفاً من الرصاص وتبرز من وراء كتفه ما سوره البندقية التي يعادل فعلها (حسب مفهومه) وهي بيد المقاتل الشجاع المجرب إلى فعل دبابه أو قاذفة صواريخ أو حتى طائرة مقاتلة!

كما ينادي هذا المقاتل في الشطر الثاني من البيت بأبن الحره (وهذا الذي يهمنا) وهنا تتجلى الحالة الأبداعيه الخلاقة لدى الشاعر بأحلى صورها اذ يستخدم فيها الأم العراقية كرمز دلالي عالي النبره.. فهذه الأم الحره تمثل الرادع الأخلاقي لهذا المقاتل والرقيب الحازم على ادائه وصموده القتالي وهي الكائن الاعتباري الذي يخجل منه في حالة النكوص أو التقصير في أداء مهمته.

لم يكن اهتمام النواب بالأم كونها رمز متعدد الدلالات هو محض اجتهاد شخصي، وإنما لكثرة الشواهد الحقيقية التي تواترت قصصها وتداولتها الناس والتي ترسخت في ذاكرته ووجدانه عن دور الأم العراقية المثقلة حد التخمة بالهم والحزن المتأصل في الأعماق والمجبولة على الصبر وتحمل الأذى، في شحذ همم أولادها للدفاع عن المقدسات كالعرض والأرض ونصرة الضعيف.. فلا زالت ماثلة إمامة الأم التي فقدت ولديها في المعركة دون أن تعلم فيأتيها احدهم بالخبر ويطلق (هوسته) المعروفة:

) جن لا هزيتي ولوليتي (
فتدرك بحسّها الغريزي ما عناه فترد وهي فخوره:
)هزيت ولوليت لهذا(

كما لازالت طريه في ذاكرة الشاعر صورة تلك الأم التي تصف فروسية وأخلاقيات أخيها وهي بين زوجها وأولادها (يعتبر الأخ دون سواه في الجنوب العراقي رمز الفخر والتباهي):

دشدله على الغوج المحجل (الفرس(
البكَصته هلال السعد هل (الغره (
رباعي ومن رخته أيتجفل (الرسن (

إلى أن تصل:

أخوي جاراته خواته
أخوي العبد والضيف اغاته

هذا النموذج من النساء اعتمده النواب في العديد من قصائده الشعبية خاصة في الفترة التي أعقبت انقلاب شباط الدموي والفترة التي شهدت تنامي حالة الرفض المسلح للسلطات الغاشمة في اهوار الجنوب.

أن طاقة النواب الإبداعية المتفجرة وفراداته في أبداع وخلق الصور الشعرية وانتقالاته العجيبة بين الحلم واليقظة دفعته بعد أن عاش فترة من الزمن في ريف الجنوب- العمارة تحديداً- ووقوفه على المأساة الحقيقية التي يعيشها أبناء هذه المناطق، إلى أن يخرج عن ثوبه المديني ويركن لغته العربية الفصيحة جانباً (وهو المتمكن منها بحكم كونه من المتفوقين الأوائل في كلية الآداب- قسم اللغة العربية) ويستعير لغة جديدة عليه وغريبة عنه في كل شيء مفردات وجمل وصياغات، ويفهم ما يعنيه مصطلح (الحسجه) ويعجب به، فأصبحت اللهجة الجنوبية هي الأقرب إليه ووجدها الساحة الرحبة التي تستوعب جموح خيالاته ويمرح في مضمارها كيفما شاء ، وراح ينشر تباعاً نصوصه الشعبية الخالدة الأولى (للريل والحمد) (عشاير سعود) (صويحب) (فوك التبرزل) وغيرها في المجلات الأدبية الرصينة وقتذاك.. فأحدثت دوياً هائلاً في الوسط الثقافي العراقي لما حملته من طروحات جديدة ومفردات وصور لم تكن مألوفة في الأنماط المتبعة والمتواترة في هذا الشعر، وقد كانت بمثابة الولادة الحقيقية لشعر شعبي عراقي جديد يستجيب لمتغيرات العصر والنزعة الحد اثوية التي طغت أبان فترة الستينات.

لقد عثر النواب على ضالته في شخصية الأم في الريف الجنوبي العراقي فاعتمدها كرمز مؤثر يستعين به لخلق حالة الانبهار العاطفي المتوقد ويستثير به العزائم إذا ما أصابها وهن ما أو يحث الغيرة العراقية ليصعد من حرارة توقدها حتى تفعل الأعاجيب!! هكذا دأب النواب على زرع أعواد الثقاب كلما سار على درب النضال والحياة فيشعل ويشتعل:

يغرز إصبعه في موضع الجرح لينز الألم والدم الفاسد سوية

يضرب على وتر النخوة فيستثير الكرامة الشخصية لتفعل دفاعاً عن عزتها ما لم يكن في الحسبان... هكذا كانت الأم تنتقل بين قصائده شعلة من وهج لتنير درب المناضلين، فأنتج (البراءة) و(حرز) ومعلقته الشهيرة في هور (الغموكه) التي عدت من أعظم الملاحم الشعرية في أدب المقاومة التي بدأها:

أطرن هورهه مصكك وأصبنهن عليك جروح
يحملن جالمطبجات الزركَك صلهن يشوغ الروح
وأجيك شراع ما هو شراع عريانة سفينة نوح

أن ما يحز في النفس حقاً أن العراق بحكم تاريخه الدامي لم يكن وفياً لمبدعيه فأما يتعرضون للتصفيات الجسدية وأما يموتون غرباء ويُدفنون في غير أرضهم، أتمنى أن لا يكون النواب واحد من هؤلاء... أن الطاقة الإبداعية لهذا الشاعر تطغي أحياناً كثيرة على الطاقات الإبداعية لسواه حتى على صعيد الأدب العالمي.. فلناخذ مثلاً على سبيل المقارنة صورتان.. الأولى.. تقول أنا كارنينا في رائعة تولستوي حينما تصعد العربة في نهاية الرواية وقد اعتصرها الألم بسبب خيبتها (لو كان للحزن والقنوط وزن لما احتملتني هذه العربة) والثانية.. تقول ام حرز في واحده من روائع النواب وهي مقبله على زيارة قبر ولدها الشهيد نائب العريف (حرز) والمدفون غريباً في ارض ليست بأرضه وفي يوم ممطر :

آنه أمك حرز جيتك
دكَوم الهه تلكَا هه
زلك والروح مابيهه
تشيل أحمول دنياهه

لنلاحظ كيف تناشد هذه الأم الثكول ولدها كي ينهض من رقدته الابديه ليعينها حتى تصل إليه وقد أثقلتها هموم الدنيا.. وكلمة (أحمول) هي مجموعة أوزان وليست وزناً واحداً.. أذن تضاعف أولا الثقل هنا، وثانياً ما فعلته كلمة (زلك) في السياق العام للمعنى و(الزلك) هي الأرض الطينية الموحلة التي لا تستقر تحت ثقل القدم.. فتتضاعف مرة اخرى المعاناة... أذن حجم ما كانت تعانية أنا كارنينا وهي تصعد العربة المستقرة على الأرض وذات المقعد الوثير لا يقارن بأي شكل من الإشكال بحجم ما كانت تعانية أم حرز... وهنا تبرز مقدرة مظفر النواب المتفردة في التقاط الصور النادرة من الحياة بعد أن يضخ بها شيئاً من نسغ ما يبدعه خياله الخلاق وحسه الإنساني. ولكي نعود الى الأم العراقية والمناضلة وكيف استضافها الشاعر كي تدخل في نسيج قصائده الثورية.. علينا أن نقف ونتأمل ملياً قصيدته الشهيرة (البراءة) التي تناقلتها الألسن منذ أواسط الستينات وحتى يومنا هذا دون أن تنشر أو يضمها ديوان وكأنها منشوراً سرياً سعى أغلب العراقيون على حفظه عن ظهر قلب وكأنهم حريصون على ان لا يقع بيد رجالات السلطات المتعاقبة.

) البراءة) بقسمها الأول الخاص بالأم لا تقتصر فقط على دور هذه الأم في رص موقف ولدها وصموده أمام المغريات التي طرحتها السلطة حينها بديلاً عن أطلاق سراحه.. وإنما هي استعراض تأريخي لعلاقته بها اعتباراً من ولادته حتى أصبح مناضلاً واستذكاراً لكل القيم التي تربى عليها في هذا البيت المناضل.. فهي تقوم بوخزة في المواضع الأكثر إيلاماً وتحسساً في ذاكرته كي يصحو منتبهاً على المزلق الأخلاقي الذي تراوده نفسه في الولوج إليه:

يبني ضلعك من رجيته الضلعي
جبّرته وبنيته
يبني خذني العرض صدرك واحسب الشيب
الي من عمرك جنيته
يبني انطش العمه بعيني وجيتك
بعين الكلب أدبي على الدرب المشيته

هنا تذكره بكيانها المهدم بفعل الكبر والمرض والتعب المضني الذي شرب من رحيق حياتها الكثير كي تربية وتنشأه وكأنها تطالبة برد بعض من الدين الذي بذمته لها وهي لا تطلب سوى أن يصمد وأن يتذكر مبادئه السامية، كما تخبره بعماها الذي لم يمنعها من الوصول إليه، ثم تسترسل معه وتعود الى الطفولة الأولى من حياته:

شيلة العلاكة يبني اتذكر جتوفي
ابلعب عمرك عليهن
سنه وجفوفك وردتين على راسي
وبيك أناغي بكل فرح عرسي النسيته
يلي شوفك يبعث الماي الزلال
بعودي وأحيا واني ميته
أبيض عيونك لبن صدري
وسواد عيونك الليل إلي عد مهدك بجيته

ثم تنتقل إلى تذكيره بولده الذي لازال في المهد وكيف تناشده بأن لا يخاف اليتم بل عليه أن يفخر إذا ما استشهد والده بشرف..

وأبنك التوّه يناغي الخرز بالكاروك
كتله لتخاف اليتم جدّه
المامش أبو عنده الحزب ابوه الحزب بيته

ثم تصل الى أن تسأل ولدها وهي مرتعبة:

ياعمد بيتي يكون الدهر
ضعضع عظم منك للمذله وللمهانه
وساومت جرحك على الخسه وجفيته؟

وأخيراً تصل إلى ما يشبه التهديد وتصدمه بمقارنه جارحه حتى يثب الى رشده:

يبني ابن الجلب يرضع من حليبي
ولا ابن يشمر لي خبزه من البراءه
يبني ياكلني الجرب عظم ولحم
وتموت عيني ولا الدناءه

ثم تعود لتستنجد به:

يبني لا تثلم شرفنه
يبني يوليدي البراءه اتظل
مدى الأيام عفنه

ثم تعطيه وصفه جاهزة للموقف الذي عليه أن يقفه وتختار له ضفة الأمان والشرف في المعادلة النضالية العسيرة الا وهي الصمود:

يبني خلي ايدك على راسي
واحلف بطاهر حليبي كَطره كَطره
وبنظر عيني العميته
وكلي انتي أمي وهذا حزبي
حزب ابوي المالواني وما لويته
كَلي شلون أهدّم حزب بيدي بنيته

لقد حقق النواب نجاحه الكبير في توظيف المرآة العراقية وخاصة الأم في شحن قصائده الثورية بدفق عاطفي يطفح بالأثاره ويحقق مردوداً اخلاقياً أصبح درساً للمناضلين الثوريين، إذ فعلت قصائد الشاعر هذه فعلها الساحر في وجدانهم ويقينهم، حيث باتوا يسترجعون هذه الصور والحوارات في أحلك الظروف قساوة وهم يقبعون في زنزانات السلطة القمعية ويتعرضون لأشد أنواع التعذيب والقهر الجسدي حتى أمست هي التعويذة التي تقيهم العثرات وتدفع عنهم غائلة الخذلان والضعف الذي قد ينتاب الهمة والقدرة على الصمود.

وترجّل "مظفر النواب".. شاعر المواجهة والمنافي

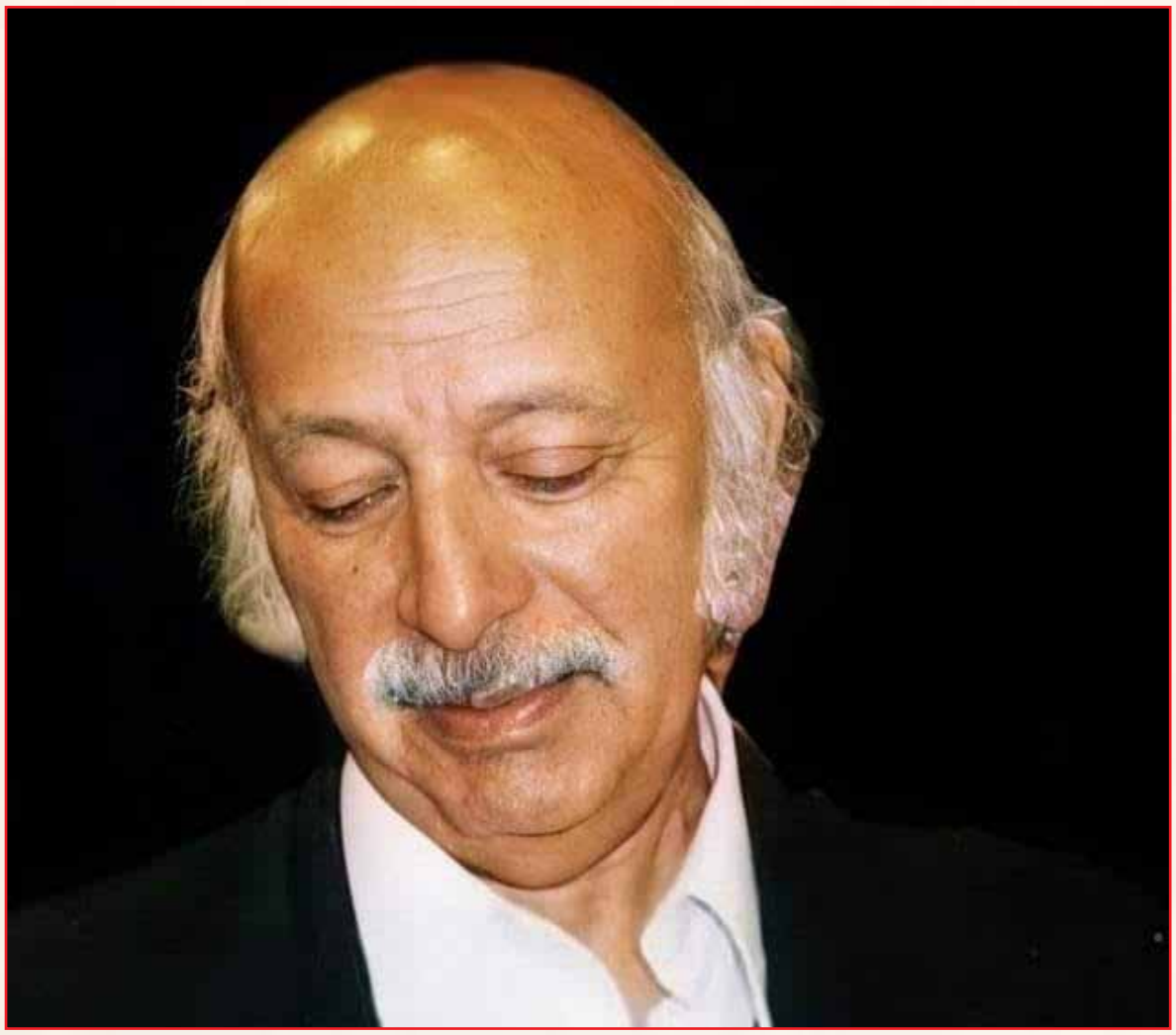

محمد عبد الشكور

"سُبحانَكَ كلُّ الأشياء رَضيتُ سوى الذل وأنْ يُوضَعَ قلبيَ فيَ قَفَصٍ في بَيتَ السلطانْ.. ورَضيتُ نَصيبيً في الدنيا كنَصيب الطَير لكنْ سُبحانَكَ حتّى الطيرُ لها أوطانْ"، هذه الكلمات قالها شاعر المواجهة والصراحة مظفر النواب، الذي توفي عن 88 عامًا، بمستشفى الشارقة التعليمي في دولة الإمارات، بعد أن عارض الحكّام والرؤساء وانتقدهم، وتعرّض للملاحقة والسجن، وعاش في عواصم عدة، منها بيروت ودمشق والقاهرة، ومدن أوربية أخرى.

مولده وتغريبته

وُلد مظفر عبد المجيد النوّاب عام 1934 في الكرخ بالعاصمة بغداد، وهاجرت عائلة جدّه إلى الهند أيام حكم العثمانيين للعراق، وهناك تولت الحكم في إحدى الولايات الهندية، ثم عادت منها إلى العراق بضغط من سلطات الاحتلال الإنجليزي بسبب مقاومتها لها.

وهو سليل عائلة أدبية ثرية أرستقراطية، تنتمي إلى البيت الهاشمي، وكان جدّه لوالده يقرض الشعر بالعربية والفارسية، وكانت أسرته تتذوق الفنون والموسيقى، وكان قصر العائلة المطلّ على نهر دجلة مقصد الشعراء والفنانين والسياسيين.

اعتناقه الفكر الشيوعي

أثناء دراسة مظفر في الصف الثالث الابتدائي، اكتشف أستاذه موهبته الفطرية في نظْم الشعر، وفي المرحلة الإعدادية أصبح ينشر قصائده في المجلات الحائطية التي يحرّرها الطلاب في المدرسة، وتابع دراسته في كلية الآداب ببغداد في ظروف اقتصادية صعبة، بعد أن تعرّض والده الثري لهزّة مالية عنيفة أفقدته ثروته بما في ذلك قصره الجميل.

بعد الإطاحة بالنظام الملكي عام 1958، تم تعيينه مفتشًا فنيًّا بوزارة التربية في بغداد، فأتاحت له تلك الوظيفة فرصة تشجيع الموهوبين ودعمهم من موسيقيين وفنانين تشكيليين.

ولأن الشباب في وقتها كان يبحث عن أفكار تخلّصه مما هو فيه، وجد أن الشيوعية ضالته، وتغلغلت مبادئ الشيوعية إلى العمق الفكري للنواب، مما دفعه إلى الانتماء للحزب الشيوعي في العراق، مقدّمًا تضحيات كبيرة في صفوفه، وبقي على ما كان عليه حتى عام 1963، واضطر في تلك المرحلة إلى مغادرة بلده، متجهًا إلى إيران؛ لاشتداد الصراع بين الشيوعيين والقوميين الذين تقلّدوا الحكم بانقلاب نفذوه في 8 فبراير/شباط 1963، لكن المخابرات الإيرانية -آنذاك- ألقت القبض عليه وهو في طريقه إلى روسيا وسلّمته إلى السلطات العراقية، فحكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام، لكن خُفّف الحكم إلى السجن المؤبد.

وأمضى فترة في سجن "نقرة السلمان" الشهير بمحافظة المثنى جنوبي البلاد، ثم نُقل إلى سجن الحلّة جنوبي بغداد، وهناك تمكّن من الهرب والاختفاء جنوبي العراق، حيث عمل في شركة هولندية، وفي عام 1969 صدر عفو عن المعارضين، فرجع إلى الوظيفة في مجال التعليم مرة ثانية بعد أن كان قد فُصل منها.

موهبته الشعرية

وتُعدّ قصيدة "قراءة في دفتر المطر" التي نظمها النواب عام 1969 أولى محطات الشهرة لديه، لينتقل بعدها إلى مساحة أوسع في عالم الشهرة عند الجمهور العربي بنظمه ملحمة شعرية حملت عنوان "وتريات ليلية"، وكُتبت خلال الفترة من 1972-1975 التي أكد فيها التزامه التامّ بقضايا العرب القومية السياسية والاجتماعية، وأصبح تغنّيه بها سمة ظاهرة في شعره، ليشتهر بعدها أكثر في نظم الشعر السياسي المعارض والناقد للأنظمة العربية، دون أن تأخذه رحمة بتلك الأنظمة بلجوئه إلى استخدام مفردات وألفاظ جريئة جدًّا.

وتمكّن النواب من صناعة شهرة أدبية لنفسه بكتابته الشعر بالعربية الفصحى، بجانب اللهجة العامّية في العراق، معزّزًا رصيد شهرته بانتقاده ومعارضته الأنظمة السياسية العربية عمومًا، والعراقية على وجه التحديد، وهذا ما جعله شريدًا في المنافي أغلب سنوات حياته.

فرضت قصائد النوّاب السياسية الهجائية عليه أن يكون "شاعر الغربة والضياع"، فعاش نحو 5 عقود طريدًا بين المنافي العربية والأجنبية، متوزعًا في أسفاره بين دمشق وبيروت والقاهرة وطرابلس والجزائر والخرطوم وسلطنة عُمان، وإريتريا وإيران، وكذلك فيتنام وتايلاند واليونان وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، فضلا عن فنزويلا والبرازيل وتشيلي.

دأب النواب على تنظيم أمسياته الشعرية في العواصم الأوربية وتحديدًا لندن، وألقى فيها قصائده الكثيرة التي خصصها للقضية الفلسطينية وانتفاضتها -1987 و2000- والحثّ على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، خاصة قصيدته "القدس عروس عروبتكم".

الخروج عن المألوف

عاد النواب إلى العراق في مايو/أيار 2011 وهو مصاب بمرض الشلل الرعاش بعد فراق عن وطنه دام أكثر من 40 عامًا، متنقلًا في المنافي دون استقرار، واستقبله -آنذاك- الرئيس الراحل جلال الطالباني بمكتبه في قصر السلام وسط بغداد.

ويُعدّ النواب أحد أبرز شعراء العراق الذين بدأوا مسيرتهم الشعرية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، وبرحيله تُطوى صفحات تلك المرحلة في تاريخ الشعر العراقي، التي تميزت بالغنى والتجريد، والخروج على القوالب المألوفة وروح التمرد.

ورغم شهرة القصائد السياسية للنواب داخل العراق وخارجه، إلا أن شعره العاطفي والغزلي، خاصة باللهجة العامية العراقية، لا يقل جمالًا ورونقًا وسحرًا.

وتميّز بأسلوب فريد في إلقاء الشعر، وأقرب ما يكون إلى الغناء أحيانًا، خاصة عندما يكون في مواجهة الجمهور.

أما سياسيًّا، فقد انحاز النواب إلى قضايا الفقراء والبسطاء والعدل، ومناهضة الاستغلال والاحتلال، وأنظمة الحكم السائدة، فتعرّض للسجن والملاحقة لفترة طويلة داخل وطنه، واضطر لاحقًا إلى العيش منفيًّا في غربته التي ناهزت نصف قرن تقريبًا.

رحل النواب وما زالت القدس محتلة، والصهاينة يقتلون الفلسطينيين كل يوم، وما زال الحكام كما هم، والعدالة غائبة، رحل النواب وهو يصرخ في قصيدته "القدس عروس عروبتكم":

لستُ خجولًا حينَ أصارحُكم بحقيقتكم
أنَّ حظيرةَ خنزيرٍ أطهرُ مِن أطهركم
تتحركُ دكةُ غسلِ الموتى
أمّا أنتم
لا تهتزُّ لكم قصبة!

عن موقع الجزيرة نت

مُظفر النوّاب..أغنية

د. حسن مدن

في سيرة مظفر النواب كل الوجع الذي وسم سيرة كُثر من قامات الإبداع في العراق الذين تفرقت حيواتهم بين السجون والمنافي الطويلة الممتدة، حتى لا تكاد تكون هناك قارة في هذا الكوكب الكبير تخلو بلدان فيها من رفات مبدعين عراقيين.

شعر النوّاب الذي فارق دنيانا بعد حياة حافلة توزّعته فيها مدن عربية مختلفة، كانت الشارقة محطته الأخيرة التي فيها صعدت روحه إلى بارئها، شاهد على مرحلة من تاريخ العراق الحديث بكل أوجاعها وحروبها وقسوتها، بظلام زنازين السجن الضيقة وبأوجاع المنافي القريبة والبعيدة، سواء في شعره المكتوب بالفصحى، أو خاصة بالعامية.

شخصياً طالما أحببت شعره بالعامية العراقية العذبة، الحنون، أكثر من شعره بالفصحى دون انتقاص من أهمية وجمال ما كتبه بها أيضاً، حتى إنني قرأت وصفاً له استوقفني جاء على لسان كاتب تناول تجربته الشعرية، حين قال عنه إنه «متنبي الشعر العامي».

في هذا الحديث وددنا الوقوف عند حضور كلمات مظفر النواب في الأغنية العراقية، خاصة تلك التي غناها الفنان ياس خضر من ألحان المبدع طالب قره غولي، ولن يكون بالوسع طبعاً الإحاطة في هذه العجالة بكل ما غني للنوّاب من قصائد، ولكنّ هناك أغاني لا يمكن أن تُنسى أبداً، بينها أغنية «روحي.. ولا تكَلها اشبيج» التي غناها ياس خضر، وفيها يقول: «يا فيّ النبع واطعم/ عطش صبير ولا فركاك/ تعال بحلم واحسبها الك جيّه/ واكَولن جيت»، وتنطوي على حمولة شعرية رقيقة، عذبة، نسيج من الشجن والعتاب، بحيث يمكن أن نعدّها بمثابة مناجاة مع الذات، أكثر مما هي هجاء لجهة أو نقد لتجربة.

قصيدة أخرى غنّاها ياس خضر ومن ألحان طالب قره غولي أيضاً، هي «يا ليلة من ليل البنفسج»: وفيها جاء القول: «أشلون أوصفك؟ وأنت كهرب/ وآنا كمرة عيني دمعة ليل ظلمة/ أشلون أوصفك؟ وأنت دفتر وآني چلمة».

لكن لعلّ أشهر أغاني ياس خضر من كلمات مظفر النوّاب هي «الريل وحمد»، التي يُحكى أن ما أوحى له بكتابتها حكاية امرأة صادفها وهو في رحلة بالقطار إلى البصرة أو منها، حيث كانت هذه المرأة جالسة أمامه، وبدا عليها التعب والحزن، على الرغم من جمالها، وكان القطار لحظتها يمر بقرية أم الشامات، ولما سألها عن أمرها، حكت له أنها القرية التي فيها أحبت ابن عمها، ولأن هذا الحب ذاع، بات متعذراً، حسب ما هو مستقر من عادات، تزويجهما، فاضطرت المرأة للهرب إلى بغداد، وكلما مرّ قطار الجنوب بقريتها عادت إليها الذكريات: «مرينا بيكم حمد/ واحنا بقطار الليل/ اسمعنا دك قهوة/ شمينا ريحة هيل».

عن الاتحاد الاماراتية

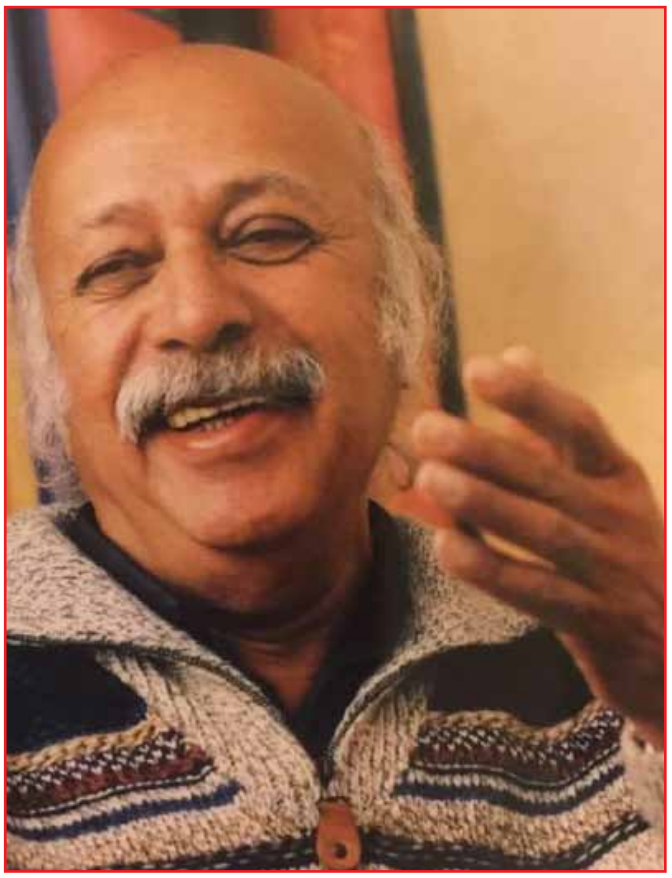

مظفر النوّاب طوى «الزمن الثوري»

خليل صويلح

هذه المرّة كان الخبر المفجع مؤكداً. مات مظفّر النواب (1934–2022) في أحد مستشفيات الشارقة. انطوى زمن الهتاف الثوري، والحناجر النازفة ببلاغة الأمل، و«زرازير البراري».

كان عام 1963 – إثر صعود الرفاق البعثيين إلى السلطة– بداية رحلته مع الشقاء والمطاردة والاختفاء، بسبب تضييق الخناق على الشيوعيين، فاضطر الهرب إلى إيران عن طريق البصرة، ليكمل طريقه إلى موسكو معقل الشيوعية العالمية، إلا أن المخابرات الإيرانية «السافاك» قرّرت تسليمه إلى الأمن العراقي ليواجه حكماً بالإعدام، انتهى إلى السجن المؤبد. في سجن «نقرة السلمان» الصحراوي ذاق عذاباً رهيباً، قبل أن يُنقل إلى سجن «الحلة». وهناك تمكّن مع بعض رفاقه من حفر نفق في الزنزانة، والتسلل إلى خارج أسوار السجن، في حادثة مشهورة. هكذا اختفى فترة في بغداد، قبل أن يتجه إلى الأهوار في الجنوب. هناك اكتشف حياةً مختلفة، وانتبه بشغف إلى رنين لهجة تضج بموسيقى خفية، سوف تكون في متن قصيدته العامية واشتقاقاتها المتعدّدة، القصيدة التي يشبهها الشاعر بليونة الطين وتكويناته، فيما يرى أن الفصحى تشبه النحت بالحجر. ولكن هل غيابه الشخصي عن المنابر، سحب قصيدته من التداول؟ القصيدة التي كانت أشبه بحقل ألغام، وقنبلة موقوتة، ووثيقة إدانة، القصيدة التي تحتشد بمعجم من المفردات النارية، وبلاغة الرفض، والسخط على أنظمة العار، والهجاء المرير لخريطة مزّقتها الشعارات والهزائم. لا شك أن قارئ اليوم، الثمل بجرعات الميديا، وما بعد ثقافة الكاسيت، سيعيش حالة اغتراب قصوى نحو قصائد صاحب «وتريات ليلية»، ولن يجد نفسه في عبارة مثل «القدس عروس عروبتكم/ أولاد القحبة هل تسكتُ مغتصبة؟»، العبارة التي تناقلتها أجيال التمرّد مثل مانفيست ثوري عبر أشرطة الكاسيت المهرّبة، وكأن شاعر الفصحى كائن آخر لا يشبه شاعر العامية إلا بالاسم، ذلك الذي يذوب شجناً وحنيناً وشفافية بصوته المجروح. قارئ اليوم أيضاً لم تعد تهزّ وجدانه القصائد المدججة بالسلاح والهتاف و«وطني هل أنت بقية داحس والغبراء»، بعد أن فقد خناقه كلها وبات مكشوفاً مثل دريئة في حقل رمي. لعل المشكلة الأساسية هنا تكمن في ارتباط هذا الشعر بحقبة ثورية من جهة، وتغيّر الذائقة الشعرية تحت ضربات الهزائم العربية المتتالية، وتمزّق الخريطة إلى خرائط، من جهة ثانية. فمظفر النوّاب شاعر القضايا الخاسرة بامتياز من بغداد إلى القدس وحتى ظفار «قمم، قمم، معزى على غنم/ جلالة الكبش، على سمو نعجة، على حمار بالقدم/ مضرطة لها نغم» يقول. هكذا دلق الشاعر كل المفردات الشنيعة في المعجم، محرّضاً على ثورات لم تحصل، وحين أتت في «الربيع الأسود» كان الشاعر قد أطفأ شعلته واستراح.

عن الاخبار اللبنانية

البطل الثوري في قصائد مظفر النواب

كاظم غيلان

"يحزب حسين بس منك علامة أنسج عليهم سج
ندجهه النوب بالدم دج
حك ابحك.. ودم ابدم
يلن حك الذي ينلاج ويتسولف عليه أهواي يتعلج"
من قصيدته" حسن الشموس"

بقدر مايسجل للشاعر والمناضل مظفر النواب الفضل الأول في حركة التجديد للشعر الشعبي العراقي، يسجل له كذلك انتماؤه المبكر لحزبه الشيوعي العراقي وخوضه النضال المستمر والمشهود له عبر تعرضه للاعتقال والسجن من- نقرة السلمان- الى سجن الحلة- ودوره البارز والبطولي مع عدد من رفاقه في عملية حفر النفق في ذلك السجن الذي أرعب السلطة العارفية وقتها، وبقي صفحة بطولة مشرفة من صفحات بطولات الحزب وتحدياته، مروراً بالمنفى القسري الذي اختاره وملاحقات أجهزة المخابرات الصدامية له في العديد من البلدان التي راح يتنقل فيها ورفضه القاطع لكل مغريات السلطة في العودة للعراق حيث وجد مصيره مرتبطاً بمصير شعبه وحزبه العظيم.

النواب امتاز عن معظم الشعراء العراقيين والعرب في الخوض بداخل دائرة الحدث، ولم يتخذ موقف المتفرج على رصيف مجريات الأحداث اللاهبة، ويمكن لنا رصد ذلك بدءاً من قصيدته الشهيرة (مضايف هيل) المكتوبة في العام 1959 التي رثى خلالها شهيد الحزب وجماهيره الفلاحية (صاحب الملا خصاف) صويحب- للحد الذي دفعه لزيارة منطقة الكحلاء- التابعة لميسان بصحبة رفيقه الراحل (عبد الرحمن الشمسي) حيث التقى (أم فيصل) زوجة الشهيد والتعرف من خلال روايتها على تفاصيل حادثة استشهاده، وهذا ما أكدته لي شخصياً عبر حوار معها نشرته قبل أعوام قليلة على صفحات طريق الشعب، وفي القصيدة هذه اعتمد النواب على جماليات أسلوبه الشعري، مبتعداً عن لغة الرثاء المثقلة بالندب والنواح إيماناً منه بأفق مستقبل حزبه وشعبه:

" هاي آنه اللحضنك لاتلم روحك
أضمك بالكصايب عين لتلوحك
يصويحب أفيي الفيه لجروحك
لاتفرح ابدمنه لايلكطاعي
اصويحب من يموت المنجل ايداعي"

ولأن الشهيد لم يكن شيوعياً حسب، بل قائداً فلاحياً أغاضت حماسته واندفاعه فلول الإقطاع إثر صدور قانون الإصلاح الزراعي الذي شرعته وأصدرته حكومة الزعيم الوطني الشهيد عبد الكريم قاسم مما دفعهم لاغتياله:

" صويحب عالعكل صندوك عرس اجبير
حزمه امن الحصاد ايلفهه طيب اجثير
وينه اللي يكلي افلان وين ايصير؟
أوصله وأدك اشراعه بشراعي "

ومع انقلاب الثامن من شباط الأسود 1963 والانتكاسة التي لحقت بالحزب ممثلة بتصفية قيادته وفي مقدمتها سكرتير الحزب الشهيد- سلام عادل- الذي تعرض لعملية تعذيب فاقت الوحشية نفسها، وراحت سجون العراق ومعتقلاته تغص بمناضلي الحزب قيادات وقواعد، والنواب واحد منهم بعد إلقاء القبض عليه من قبل أجهزة (السافاك) الإيرانية أثناء محاولة هروبه للاتحاد السوفيتي عبر الأراضي الإيرانية وتسليمه لأجهزة الأمن العراقي، وكان له إبان الإنقلاب مشاركة بطولية بجانب رفاقه في مقاومة ميليشيا الحرس القومي سيئة الصيت بمنطقة أهله في (الكاظمية) وفي خضم تلك الأحداث المأساوية أقدمت سلطة البعث على إعدام المناضل الشيوعي (وعد الله النجار) من تنظيمات الموصل، والتي تتشرف اليوم بحمل اسمه الذي أطلق على أحد شوارعها بعد العام 2003 اذ كتب عنه النواب قصيدته (عين الرمد):

عين الرمد ماهانت.. نعزهه
وكل رمدهه ايهون
ضموا اجفونكم عالعين
هذا الريح.. ما مأمون
كلهم عن (وعد) ماهان
بتراب المطر مضمون

وفي المنفى الصحراوي الرهيب (نقرة السلمان) الذي زج فيه مناضلو الحزب، وضع الضابط الشيوعي السجين (صلاح) خطة محكمة للهرب من السجن، وتمكن من تحقيقها لولا أنه ضَل الطريق الصحراوي فأصبح فريسة للذئاب وما كان من النواب الا وأن يكتب عنه قصيدته المعروفة(صلاح) التي نشرت في مجموعته الأولى(للريل وحمد):

المنايا الماتزوك زورها
خطة التسلم ذبايح سورهه
طافح اعله الريح عينه ايدورهه
وبأثر جدمه اتلوذ كل اطيورهه
وسفه.. ماحفظت صكرهه
وسلمته ابليل.. عمت ناطورهه

لعل ارتباط مظفر بحزبه اتخذ طابعاً حميمياً كرس وأفنى لأجله سنوات طويلة من عمره المثقل بالهموم والفواجع، عاش خلالها مع شرائح شعبه المسحوقة التي عانت من ويلات الأنظمة الدكتاتورية، ولذا فقد كان مبتكراً استثنائياً لتوظيف لهجة الريف العراقي- الجنوبي- تحديداً في معظم قصائده الملحمية مع انه مديني وابن لعائلة بغدادية عريقة، وهنا أخذ الانسلاخ الطبقي بمجمل تفاصيله طريقه السليم في المكون الأساسي لشخصية النواب شاعراً ومناضلاً واتخذ من أبطاله نماذج شعبية متطورة في مضامينها وأشكالها كما في (حسن الشموس):

جباشه امفلشه ايذبني عليك الزود
ايعطل اكليبي.. عيب اعطل
يمن جبت الحزب لبيتنه امعكل
وهنا يأخذ العقال رمزاً لمهابة إنسان الريف وشموخه وفروسيته:
حزبنه اليوم يبني امعكل ابحزنه
حزبنه ايدير عينه ايكلب الدنيه
أو... سكته
اتمطر الصحوة المشمسة مطرة المزنه
حزبنه اليوم يتهمهم عليهه
ومايعرف الكعده والهدنه

كذلك الحال في قصيدته- ابن ديريتنه حمد-:

حمد درع الحزب بالزركات
وايام المطر والشرجي لرفاكه سكيفه
...
تبتدي الدنيه بنهار الثار
ديرة اتبوس ديرة
عمت عين الكاع ضمتهم زلم
جانوا خميره
كول أدير العين عنهم
كلبي الملوع شكله.. اشلون اديره
شلون والقايد صدك بينه نفس منه وبصيره
شلون هذا الشعب للعفنين يسلم مصيره

كذلك الحال نجده في قصيدة لاتقل أهمية الا وهي (حرز):

سكينة الشمس بالهيمة
كبل جدحة شرارتها
نشيل الكاع للنجمه
ونذل انجوم ذلتهه
حرز لساع رشاشه
يدك ابليل محنتهه

أما في ملحميته المعروفة (حجام البريس) فقد أخذت سعتها بمجمل مفردات الشجاعة المقاومة التي من شأنها أن ترسخ آمال جماهير الحزب بأفق المستقبل الذي تجسد في شعاره (وطن حر وشعب سعيد):

أكليج جني أسمع ليل
يم عشرة وزمر زركه
يصح ردوا:
أكحل عين المبشرين واتنومس
وأفرك روحي للملكه
يصح رد الجبير النوكف ابابه
جثير الهله يا يابه
جثير الهله ملهاش خطابه
بدمشق وهو.. من غبتوا

وبقي مظفر النواب روحاً وضميراً مع نضال حزبه الشيوعي، فقد منح صوته لقائمة الحزب في أول انتخابات برلمانية جرت بعد تغيير 2003 برغم اعتلال صحته في ضاحية مزة بدمشق وهو يقف في باب قاعة انتخابات منشدا لشعبه وحزبه الشيوعي.

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

مظفر النواب: سيرة مفعمة بالحب

جاسم عاصي

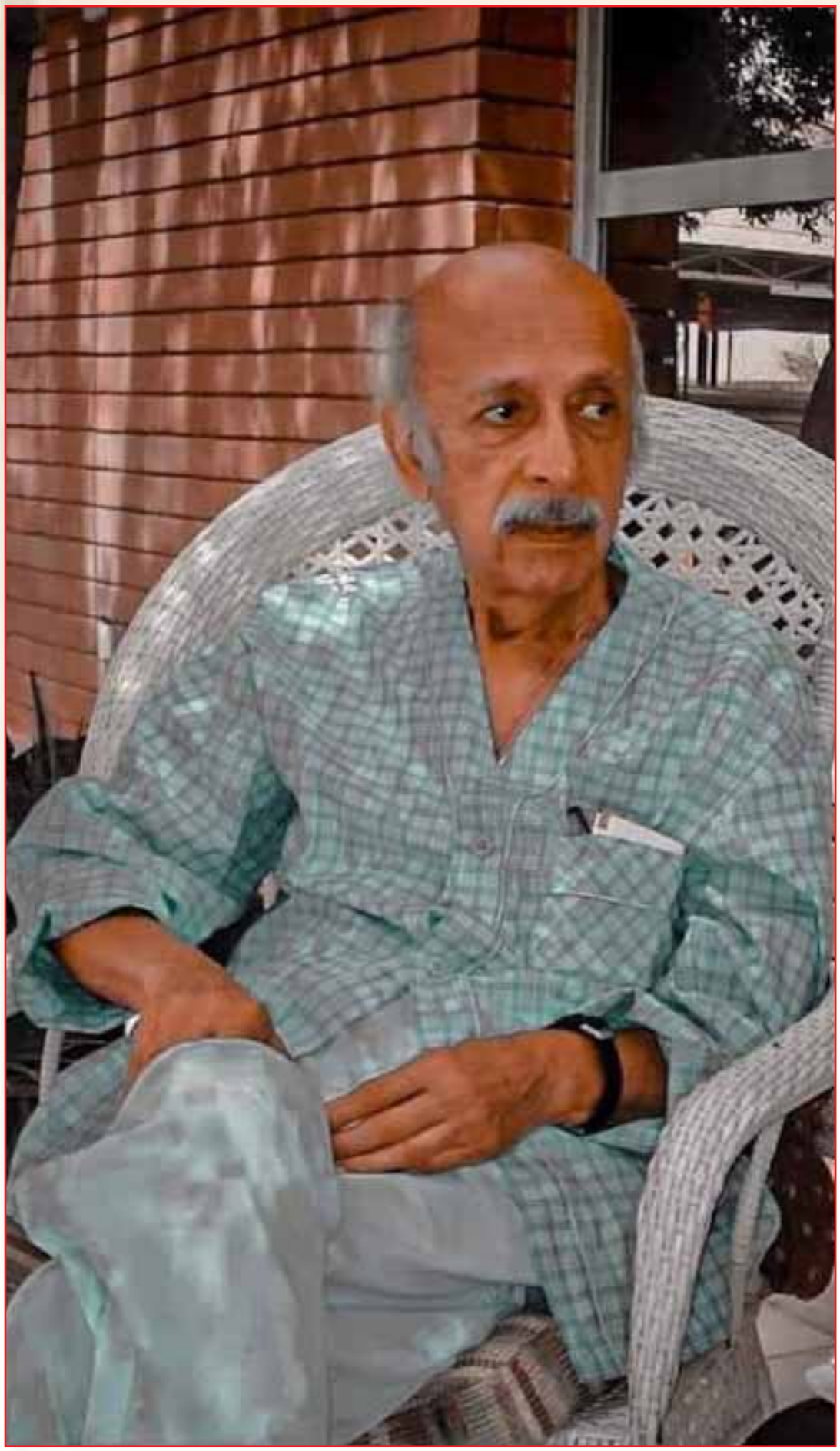

هل رحلت يا شاعر الصدق في الموقف الوطني؟ لا أرى في ما حدث رحيلاً، فقد تركت وراءك سيرة يفتخر بها الشعب وقواه الخيّرة، يردد ما كتبت بصوته الزاخر بحب الوطن. فسيرتك من مسيرة نضالك مع رفاقك وصحبك وأخوتك، متنقلاً من سجن إلى آخر، ومن غرفة تعذيب جسدي ومعنوي إلى أخرى تتبارى خلالها شطارة المحققين. من نقرة السلمان وقطار الموت، اجتزت مع رهط المنفيين، عابرين صحراء السماوة الحارقة والشاسعة في شاحنة (أم الزرازير) كما كان يطلق عليها السجناء. ثم إلى سجن بغداد المركزي، وصولاً إلى سجن الحلة، وحصراً في الجناح الجديد، حيث حدثت ملحمة نفق الحلة الشهير، كما رواها عقيل حبش.

حفر السجناء بآلات بسيطة، وأناة وحذر من كشف العملية المهمة في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي. كان دورك أساسياً يا أبا عادل، ومهمتك صعبة، لأنها تتصل بحرفة الهندسة والفراسة. فكم مرة صعدت إلى المجال الذي يتصل بالسياج الخارجي للسجن بحجة تفقد منسوب الماء في الخزانات. والحقيقة أنك عملت على رسم مخطط للذين يحفرون تحت الأرض ويسيرون باتجاه المرآب المحاذي لسياج السجن. مرات.. ومرات صعدت طالما هناك محاولة للتواصل، واستجابة لأوامر اللجنة الحزبية في الجناح، خاصة حين دخل ياسين حسين لتفقد ما وصل إليه الحفر قبل انتهائه إلى المرآب، حيث سمعوا صوت قطة تموء، فاستغربوا من ذلك، وسألوا: من أين أتت هذه القطة؟ وعند البحث وجدوا أن النفق أثناء الحفر ترك فجوة في السقف تحت كابينة الحراسة، ما دفعهم إلى الإسراع في جلب الإسمنت والرمل والحديد، وعالجوا السقف على عجالة. وكم كانت فرحتكم وأنتم تكتشفون مخزنا داخل الأرض، بعد أن كنتم محرجين في الكيفية التي بواسطتها التخلص من التراب المنزاح من تحت الأرض. وبسرعة عرفتم وجود الغرفة الواسعة، فقد كان الحفر يجري من مكان كانت تشغله مرافق صحية، وهذا المخزن يتصل بمجرى النفايات الجاف جراء عدم الاستعمال. لقد جاء استبدالكم غرفة الصيدلية صغيرة المساحة بهذا المكان الواسع وغير المثير للشك فتحاً لكم.

عملتم بكل دأب حتى أنجزتم المهمة، وغادرتم السجن هرباً وفق خطة مدروسة، وكان طريقك نحو أهزار الجنوب حيث منطقة (الغموكَة) الشهيرة بنضال أهلها. هكذا تكون المسيرة التي تصقل سيرة الرجال وتعمق إيمانهم بالمبادئ وبشعبهم. هذا جزء من سيرتك يا أبا عادل، يتحدث فيها الجميع، ويتندر المحبون ببسالتك وإقدامك، شعراً وسيرة. شعراً باللهجة العامية العراقية، الشعر الذي تتداخل فيه الصور الشعبية ونكهة اللهجة التي يفهمها الجميع، كذلك المثقفون. شعرك الفصيح فيه رؤى وأصوات الموقف الجماهيري. فقد تداخل فيه صوتك مع أصوات الناس، فأحبوه لأنه منطوق بلسانهم، وغير بعيد عن تصوراتهم ورؤاهم وآمالهم في العيش الرغيد بعيداً عن المناكفات السياسية.. في غضبهم وفرحهم وثورتهم. ألم نقل أنك لم ترحل، لأننا نؤمن بأن ما نعرفه جزء ضئيل من الذي يعرفه الكثيرون. في سيرتك تتعدد الأصوات ويكثر الرواة. لقد أبقيت سيرتك أمانة في أعناقنا، سيدونها المحبون، ويعيدون لشعرك (ولريلك) و(حمدك) و(مكَيرك) الحياة من جديد، كي تعرف الأجيال من هم الأكثر إخلاصاً لشعبهم. زاد طول قاماتنا ونحن نرى مظهر تشييعك في بغداد، حيث استقبل موكبك السيّد رئيس الوزراء وسار خلف نعشك الجميع، حتى دفنت في أرض العراق خلافاً للشعراء (الجواهري، البياتي، مصطفى جمال الدين، سعدي يوسف ونجله حيدر، عبد الرزاق عبد الواحد. ولم يُفكر أحد بنقل رفاتهم من مقبرة الغرباء في دمشق، بل عاشوا غرباء وماتوا غرباء ودفنوا في أرض غريبة باعتبارات اجتماعية. نم قرير العين في سريرك الأرضي بيننا. تحف قبرك عيوننا وضمائرنا.